مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية _ سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية المجلد (31) العدد (2)2009
Tishreen University Journal for Research and Scientific Studies - Arts and Humanities Series Vol. (31) No. (2) 2009

أثر الأصوات الصّائتة في المستويين اللّغويّين (الصّرفيّ والنّحويّ)

الدّكتور محمّد إسماعيل بصل*
صفوان سلّوم**

(تاريخ الإيداع 1 / 2 / 2009. قبل للنشر في 4 / 5 / 2009)

□ الملخّص □

قسّم علماء اللّغة المحدثون النّظام اللّغويّ على أربعة مستوياتٍ ، هي المستوى الصّوتيّ والصّرفيّ والنّحوي والدّلاليّ ، وأكّدوا على تلازم هذه المستويات التّي تتضافر فيما بينها ، للنّظر في اللّغة ودراستها . وهذا يعني أنّ أيّة لغةٍ ، يحكمها نظامٌ صوتيٌّ صرفيّ قواعديٌّ دلاليٌّ ، تؤلّف عناصره كلاًّ واحداً ، يحتلّ المستوى الصّوتيّ مرتبة العنصر الأساس ، والموجّه لبقيّة المستويات . إذ يشكّل الصّوت اللغويّ الأساس الذي قامت عليه المستويات اللغويّة، ابتداءً باللّفظة المفردة وانتهاءً بالتّركيب .

لذلك ربط كثيرٌ من الباحثين المحدثين ، مستويي الدّراسة اللّغويّة الصّرفيّة والنّحويّة ، بالدّراسةٍ الصّوتيّة ، فبحثوا في العلاقة القائمة بين علم الأصوات وعلمي النّحو والصّرف ، منطلقين في توضيح هذه العلاقة ، من الدّور الذي تلعبه الأصوات الصّامتة والصّائتة في تشكيل البنى الصّرفيّة ، وفي بناء التّراكيب النّحويّة ، وفي تفسير دلالة المعاني الصّرفيّة والنّحويّة .

الكلمات المفتاحيّة : الأصوات الصّائتة ، البنى الصّرفيّة ، التّراكيب النّحويّة .

* أستاذ – قسم اللّغة العربيّة – كليّة الآداب والعلوم الإنسانيّة – جامعة تشرين – اللاذقيّة – سورية .
** طالب دراسات عليا (دكتوراه) – قسم اللّغة العربيّة – كليّة الآداب والعلوم الإنسانيّة – جامعة تشرين – اللاذقيّة – سورية .

مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية _ سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية المجلد (31) العدد (2)2009
Tishreen University Journal for Research and Scientific Studies - Arts and Humanities Series Vol. (31) No. (2) 2009

Effet des voyelles sur la morpho-syntaxe

Dr. Mohammad Bassal *
Safwan Salloum **

(Déposé le 1 / 2 / 2009. Accepté 4/5/2009)

□ Résumé □

La linguistique moderne a réparti le système langagier en quatre niveaux: phonétique, morphologique, syntaxique et sémantique. Les linguistes modernes ont insisté sur la corrélation de ces quatre niveaux dans l'étude du langage. Ce qui signifie que le langage, quel qu'il soit, est régi par le système phonétique, syntaxique et sémantique dont les éléments constituent un tout. Le niveau phonétique occupe une place de premier ordre orientant les autres niveaux. Aussi, les linguistes ont considéré l'étude des sons comme étant le premier pas nécessaire à n'importe quelle étude langagière, car elle porte sur l'étude du son en tant que matière élémentaire de la parole humaine. Ainsi, les recherches phonétiques s'orientent vers l'étude de la petite unité langagière, en l'occurrence, les sons. ces derniers forment les mots qui forment les phrases et les propositions.

mots-clé: unités, morphologique, syntaxique, voyelle.

*** Professeur au département d'arabe-Faculté des lettres et sciences humaines- Université Tichrine- Lattaquié- Syrie.**
****Etudiant en doctorat - Département d'arabe- Faculté des lettres et sciences humaines- Université Tichrine- Lattaquié- Syrie.**

مقدّمة:

درس علماء اللّغة المحدثون الأصواتَ ، من حيث تقسيمها ، إلى صائتةٍ (vowels) وصامتةٍ (consonnes) ، فعدّوا الصّوت صائتاً ، إذا كان النّفس الذي يؤدّي إلى إصداره ، يجري طليقاً ، لا يعترضه عائقٌ، حتى خروجه بحريّة من الفم .[1]

وعدّوه صامتاً ، إذا صادف النّفسُ الذي يؤدّي إلى إصداره عائقاً في نقطةٍ ما ، يعترض طريقه ، حتّى خروجه من الفم .[2]

ولا بدّ من الإشارة إلى أنّ تقسيم الأصوات ، إلى هذين القسمين الرئيسين ، مرتكزٌ على أسسٍ سمعيّةٍ ، متعلّقةٍ بطول الصّوت وارتكازه ودرجته ، فقد لوحظ أنّ الأصوات الصّائتة ، أشدّ وضوحاً في السّمع من الأصوات الكلاميّة الأخرى ، في حالة نطقها بالطّريقة العاديّة .[3]

وقد تركّز وصف الأصوات وتصنيفها في العربيّة ، على النّظر في مخارجها وطريقة نطقها ، ثمّ النّظر في بعض الصّفات الإضافيّة ، " وتتمثّل طريقة النّطق في فحص انفتاح جهاز النّطق ، ودرجات هذا الانفتاح ، وبصورة أدقّ في درجة انفتاح الفكّ السّفليّ ، وابتعاده عن الفكّ العلويّ الثّابت ، ويتمثّل تحديد المخارج ، في ضبط الموضع أو النّقطة التّي يضيّق فيها مجرى الصّوت تضييقاً ، يمكن أن يصل إلى حدّ غلْق المجرى ، غلْقاً كليّاً ، وحبس الهواء ."[4]

وتعتمد العربيّة من حيث تقسيمها الصّوائت ، النّظام الثّلاثي ، الذي يتكوّن من ثلاثة صوائت قصيرة (الفتحة والكسرة والضّمّة)، ومن نظائرها الطّويلة (الألف والياء والواو) ، وهذا لا يعني أنّ اللّغة العربيّة تقتصر على هذه الصّوائت دون غيرها ، إلاّ أنّ " التّفريعات الثّانويّة على هذه الصّوائت ، ليست ذات قيمةٍ فونيميّةٍ ، أي ليست ذات أثرٍ في المعنى ، فالإمالة والتّفخيم والإشمام مثلاً ، لا تغيّر معنى الكلمة ، وإنْ كانت تنحو بأحد صوائتها ، منحًى مغايراً لأصل الاستعمال ."[5]

أهميّة البحث وأهدافه:

إنّ المتتبّع لآراء العلماء ، في الدّرس اللّغويّ ، يجد أنّ اهتمام القدماء كان منصبّاً على الأصوات ، التي تشكّل البنية الرّئيسة للكلمة أو قاعدتها من جهةٍ ، ومن جهةٍ أخرى تركّز اهتمامهم على النّواحي الإعرابيّة ، من حيث نوع الصّائت ، وعلّة ملازمة هذا النّوع ، لأواخر الكلم ، ومن هنا كان اهتمامهم مركّزاً على وظيفة الصّوت لا على طبيعته ، وخاصّة الصّوائت .

---

[1] – إبراهيم أنيس . *الأصوات اللّغويّة* . (القاهرة : مكتبة الأنجلو *المصريّة* ، ط5 ، 1979م) ص 28 . و برتيل مالمبرج . *علم الأصوات* . تعريب ودراسة : د. عبد الصّبور شاهين . (القاهرة : مكتبة الشّباب ، د.ت) ص 61 ، وينظر : د . كمال بشر . *علم الأصوات* . (القاهرة : دار غريب للطّباعة والنّشر والتّوزيع ، 1420هـ ، 2000م) ص 150–151 .

[2] – د. كمال بشر . علم الأصوات . ص 174 ، وينظر : مالمبرج . علم الأصوات . ص 85 – 86 .

[3] – ينظر : د .محمود السّعران . *علم اللّغة "مقدمة للقارئ العربيّ"* . (بيروت : دار النهضة العربيّة ، د.ت) ص 150 .

[4] – عبد الفتاح إبراهيم . *مدخل في الصّوتيّات* . (تونس : دار الجنوب للنشر ، د.ت) ص65 .

[5] – د. رمزي منير بعلبكي . *فقه اللّغة المقارن ، دراسات أصوات العربيّة وصرفها ونحوها على ضوء اللّغات السامية* . (بيروت : دار العلم للملايين ، 1999م) ص 43 .

من هنا تكمن أهميّة البحث في سعيه إلى توضيح الدّور الأساس الذي تلعبه الصّوائت القصيرة والطّويلة، في تشكيل البنى الصّرفيّة في اللّغة العربيّة ، سواءٌ أكانت بنًى صرفيّةً اسميّةً أم فعليّةً ، كما يهدف إلى بيان أثر الصّوائت في التّراكيب النّحويّة ، وتوضيح دلالة المعاني النّحويّة في اللّغة العربيّة .

منهجيّة البحث:

نهجنا في دراستنا منهجاً وصفيّاً تحليليّاً ، يقوم على تقصّي أثر الأصوات الصّائتة ، في مستويي الدّراسة اللّغويّة الصّرفيّة والنّحويّة ، فمهّدنا بالدّراسة النّظريّة ، ثمّ تناولنا نماذج تطبيقيّة ، فحلّلناها تحليلاً علميّاً يستند إلى أبرز الدّراسات اللّغويّة الصّوتيّة والصّرفيّة والنّحويّة الحديثة .

أوّلاً : أثر الأصوات الصّائتة في تشكيل البنى الصّرفيّة

تلعب الظّواهر الصّوتيّة دوراً بارزاً ، في تحديد الوحدات الصّرفيّة ، حتّى إنّ الدّراسات الصّرفيّة تبقى قاصرةً ، إنْ لم تستند إلى علم الأصوات ، لأنّ مباحث الصّرف مبنيّةٌ في أساسها ، على ما يقرّره هذا العلم من حقائق ، وما يرسمه من حدودٍ . ولم يكن اعتماد علم الصّرف على علم الأصوات ، مقصوراً على لغةٍ دون أخرى، فلغات العالم كلّها ، تستوي في هذا الأمر ، لكنّ الاختلاف بينها ، يكمن في آلية استغلال الحقائق الصّوتيّة ، في مجال الدّراسات الصّرفيّة ، وفي مداه ونتائجه ، ويتوقّف ذلك على خصائص اللّغة المعنيّة . وقد يتأتّى الاختلاف بينها ، في مدى اعتمادها على ظاهرةٍ صوتيّةٍ ، دون أخرى ، في مجال البحث .

وقد استند الصّرفيّون في تعليلاتهم كثيراً من الظواهر الصّرفيّة ، إلى علم الأصوات ، " فحاولوا أن يصفوا ما يطرأ على بنية الكلمة العربيّة ، إمّا في تصرّفاتها المختلفة ، من إفرادٍ وتثنيةٍ وجمعٍ ، وتذكيرٍ وتأنيثٍ ، وتصغيرٍ، ونسبٍ ، وماضٍ ومضارعٍ وأمرٍ... إلخ ، وإمّا عند وقوعها في سياق الكلام ، مثل الإدغام والوصل ، إلى ذلك من المباحث الصّرفيّة ." [6]

ولتوضيح ذلك ، يمكننا أن نتتبّع أثر الأصوات الصّائتة ، في تشكيل البنى الصّرفيّة في اللّغة العربيّة ، سواءٌ أكانت بنًى صرفيّةً اسميّةً أم فعليّةً .

1 – أثر الأصوات الصّائتة في تشكيل البنى الصّرفيّة الاسميّة :

إنّ الاختلاف بين بنيةٍ صرفيّةٍ وأخرى ، مرتبطٌ ارتباطاً جليّاً بحقائق صوتيّة محدّدة ، حيث يمكننا التّمييز بين تشكيلٍ صرفيٍّ اسميٍّ وآخر ، بوساطة تغييرٍ يطرأ على صوتٍ صامتٍ من أصوات اللّفظ .

ويمكننا أن نورد في هذا الموضع ، أوزان التّكسير ، مرتّبةً على أساسٍ صوتيٍّ ، وسوف نختار المجموعة الأولى ، **وأوزانها : فُعْل ، فُعَل ، فُعُل ، فُعُول ، فِعَل ، فِعَال** ، حيث تشكّل هذه الزّمرة ، أبسط أنواع الجموع تكويناً[7]، لأنّها تقتصر على الصّوامت الثّلاثة ، مع ما يلزمها من حركاتٍ متغيّرةٍ ، تتحقّق بها الصّيغة الصّرفيّة المرادة . والواضح أنّ الفرق بين الصّيغ السّابقة ، هو فرقٌ في الصّوائت وتوزّعها وطولها ، في حين أنّها تشترك

---

[6] – دافيد كريستل . *التعريف بعلم اللّغة* . تر : د. حلمي خليل . (سورية : مديرية الكتب والمطبوعات ، جامعة تشرين ، 1981م ، 1982م) ص92 .

[7] – ينظر : د.عبد الصبور شاهين . *المنهج الصّوتي للبنية العربيّة ، رؤية جديدة للصّرف العربيّ* . (بيروت : مؤسسة الرسالة ، ط1 ، 1408هـ ، 1988م) ص31 .

في عدد الصّوامت وتسلسلها . فصيغ (**فُعْلٌ** ، **فُعَلٌ** ، **فُعُل** ، **فِعَلٌ**) بوصفها قوالب يُصبّ فيها الجذر اللّغويّ ذاتــه ، هي بنًى صرفيّةٌ متماثلةٌ من حيث الصّوامت ، مختلفةٌ من حيث توزّع الصّوائت ونوعيّتها .

وصيغتا (**فُعْل** ، **فُعُــول**) تشكيلان صرفيّان متماثلان ، إلاّ في طول الضمّة . وصــيغتا (**فِعَــل** ، **فِعَــال**) تشكيلان صرفيّان متماثلان ، إلاّ في طول الفتحة . وهكذا فإنّ عمليّة التّبادل بين الصّوائت القصيرة فيما بينهــا ، أو التّبادل بين الصّوائت القصيرة والطّويلة ، أعطانا ستّ صيغٍ صرفيّةٍ لجمــوع التّكســير ، لكــلِّ صــيغةٍ منهــا ، خصوصيّتها ودلالتّها .

ولعلّ جموع التّكسير من الأنماط اللغويّة الخاصّة باللّغة العربيّة ، فإلى جانب الجمع السّالم ، الذي يعبّر فيــه عن الجمع ، بنهايةٍ تلحق الاسم ، كما هي العادة في اللّغات الأوروبيّة ، تصوغ العربيّة الجمع بتغيير الاسم تغييــراً داخليّاً ، ويكون هذا عادةً بتغيير الصّوائت وحدها ، ففي العربيّة نجمع (كتاباً على كتبٍ) ، ونجمع (عطراً علــى عطورٍ) ، وهذا النّوع من الجمع ، هو في الواقع اسم جمع ، وهذا هو السّبب في أنّ هذه الظّاهرة فريدةٌ في بابها ، على نحوٍ ظاهرٍ[8] .

ولهذه الصّوائت تأثيرٌ كبيرٌ أيضاً ، في الألفاظ من حيث أقسامها الصّرفيّة ، فالصّوائت القصيرة مثلاً ، تجعل صيغة (فعل) ، فعلاً أو وصفاً أو اسماً ، وذلك إذا قيل : **فَعَلَ وفَعِلٌ وفَعُلٌ** .

كذلك فإنّ للصّوائت الطّويلة أثراً في تغيير الصّيغ الصّرفيّة ، في مثل (فعل وفاعل ومفعــول وفعيــل) ، فدخول هذه الصّوائت الطّويلة (الألف والواو والياء) ، بين فاء (فعل) وعينها ولامها ، يحدث تغييراً صرفيّاً ، أو كما يسمّيه المعاصرون ، فونولوجيا (phonologie) ، حيث يؤدّي إدخال الألف بين الفاء والعين ، إلى تكوين اسم الفاعل ، وإدخال الواو بين العين واللام ، يؤدّي إلى تكوين صيغة اسم المفعول ، وإدخال الياء بين العين واللام ، يؤدّي إلى تكوين صيغة مبالغة اسم الفاعل ، ومن هنا كان لهذه الصّوائت الميّزة الكبرى في إغنــاء العربيّــة ، وتكثير صيغها بأقلّ الألفاظ .

ولعلّ دراسة المجال الصّرفيّ تقودنا إلى قضيّة الاشتقاق ، أو كيفيّة إنشاء الوحدات اللّغويّة عن طريق أدوات الإلحاق ، أو التصدّير ، وتلعب الصّوائت دور أدوات الإلحاق التي تؤثّر في اللّفظة الأصليّة ، فتحوّلها من زمرةٍ إلى أخرى ، كما نرى في الأمثلة الآتية :

- من زمرة الأفعال إلى زمرة الأسماء (تسارَعَ : تسارُعٌ) .
- من زمرة الصّفات إلى زمرة الأسماء (أحمَرُ : احمرارٌ) .
- من زمرة الأسماء إلى زمرة الصّفات (كَسَلٌ : كَسولٌ) .

وما يلاحظ في هذا الموضع ، أنّ اللّغة العربيّة تمتاز بحصول معظم حالات الاشــتقاق ، بوســاطة تغييــر الصّوائت ، التي تتضافر مع الأدوات الملحقة الأخرى للوصول إلى البناء الصّرفيّ المطلوب .

وتسمّى العلاقات الصّوتيّة بين الصّوائت ذاتها التّوافق الحركيّ ، وهو لونٌ من الإتبــاع عنــد المتقــدّمين[9] ، ويسمّيه المحدثون (المماثلة)[10]، لكنّ المماثلة تحدث بين الصّوامت ، والتّوافق الحركيّ بين الصّوائت ، وهو إتبــاع

---

[8] – ينظر : السيّد يعقوب بكر . *دراسات في فقه اللغة العربيّة* . (بيروت : مكتبة لبنان ، 1969م) ص 10–11 .

[9] – ينظر : عبد الله العلايلي . *مقدّمة لدرس لغة العرب* . (مصر : المطبعة العصريّة ، د.ت) ص 217 .

[10] – د . عبد القادر مرعي خليل . *المصطلح الصّوتيّ عند علماء العربيّة القدماء في ضوء علم اللّغة المعاصر* . (الأردن : جامعة مؤتة ، ط1 ، 1413هـ ، 1993م) ص167 .

صائتٍ قصيرٍ لمثيله ، أو هو مماثلة صائتٍ قصيرٍ لنظيره الطّويل ، وقد تنبّه اللّغويّون والنّحاة لهذا النّوع من المماثلة، ففسّروا :

1 – الإعلال في كثيرٍ من الكلمات العربيّة ، وفق ثلاثة قوانين للمماثلة بين الصّوائت ، حيث تلتقي الصّوائت وأشباه الصّوائت [11]، في شيءٍ من مسلكها الصّوتيّ ، وذلك من خلال طبيعة المخرج ، والموقع لهذه الأصوات ، ويؤدّي هذا الالتقاء إلى تشابهها في التّغيّرات الصّوتيّة ، التي تعتريها كالانقلاب والسّقوط [12].

ونذكر من أنواع التّوافق الحركيّ ، في هذا الموضع :

أ – **مماثلة الصّائت لشبه الصّائت** ، نحو قولهم في اسم المفعول من (باع : مبيع)

فالأصل أن يأتي على (مبيوع) ، الصّائت هنا ضمّة طويلة / u: / جاء مسبوقاً باليـاء شبه الصّائت ، فانقلبت الضمّة إلى صائتٍ ، يماثل شبه الصّائت السّابق ، فتحوّلت من ضمّةٍ طويلةٍ إلى كسرةٍ طويلةٍ ، ليصبح بناء الكلمة على النّحو الآتي : Mabyu: ؟ (مبيوع) ← Mabyi: ؟

u: ← i: / y ــ تتحوّل الضمّة الطّويلة إلى كسرةٍ طّويلةٍ ، بتأثير شبه الصّائت المجانس (اليـاء) . ويغلب على هذه المماثلة ، أنّ يؤثّر الصّوت السّابق في الصّوت اللاحق ، وتسمّى هذه المماثلة التّقدّميّة ، أو الأماميّة، حيث يؤثّر الصّوت الأوّل في الصّوت اللاحق .

ب – مماثلة شبه الصّائت للصّائت ، نحو قولهم في اسم الفاعل من (أيقن : موقن) [13]. حيث ينقلب شبه الصّائت إلى صائتٍ مماثلٍ للصائت المجاور ، ومن أمثلة هذه المماثلة ، تحوّل الياء /y / شبه الصّائت إلى ضمّةٍ مماثلةٍ ، لحركة الضمّة التي سبقت شبه الصّائت ، نحو :

أيقن ← ميقن muyqin تحوّلت إلى موقن mu:qin

u : ← u +u فتتابع الصّوائت القصيرة يشكّل صائتاً طويلاً من جنس تلك الصّوائت المتتابعة ، وهي مماثلة أماميّة ، حيث أثّر الصّوت السّابق في الصّوت اللاحق .

2– أثر الأصوات الصّائتة في تشكيل البنى الصّرفيّة الفعليّة :

لو عدنا إلى الأفعال الثّلاثيّة المجرّدة ، لوجدنا أنّها تلتزم أوزاناً ثلاثة هي : (فَعَل ، فَعِل ، فَعُل) ، وتلتحق بها صيغةٌ رابعةٌ ، هي : (فُعِل) لتحقيق دلالةٍ إضافيّةٍ . ويتمّ الوصول إلى الصّيغ السّابقة ، بإجراء تغييرٍ في توزّع الصّوائت ، ممّا يمنح كلّ صيغةٍ بنيتها الصّوتيّة ، ويعطي أفعالها دلالاتٍ تختلف عن دلالات الأفعال ، التّي تنتمي إلى الزّمر الصّرفيّة الأخرى ، وقد فصّل في ذلك ابن جني ، قائلاً : " أمّا الأفعال الثّلاثية التّي لا زيادة فيها ، فهي على ضربين : فعلٌ مبنيّ للفاعل وفعلٌ مبنيّ للمفعول ، فالمبنيّ للفاعل على ثلاثة أضرب : فَعَل وفَعِل فعُل ، فمثال (فَعَل) يكون متعديّاً وغير متعدٍّ ، فالمتعدّي نحو: ضَرَب و قَتَل ، وغير المتعدّي ، نحو : جَلَس ونَهَض ، و(فَعِل) يكون متعدّياً وغير متعدٍّ ، فالمتعدّي نحو : شَرِب وركِب ، وغير المتعدّي ، نحو: سَلِم وقَدِم ، و(فَعُل) لا

---

[11] – إنّ أهمّ صفةٍ في الصّوائت ، هي عدم وجود عائقٍ في أثناء نطقها ، غير أنّه قد ينشأ في بعض الحالات ، شيءٌ من الاحتكاك في أثناء النّطق بها ، ممّا ينتج نوعاً جديداً من الأصوات ، أطلق عليه مصطلح أنصاف الصّوائت ، أو أشباه الصّوائت . ينظر : د. غالب فاضل المطلبي . *في الأصوات اللّغويّة ، دراسة في أصوات المدّ العربيّة* . (بغداد : وزارة الثّقافة والأعلام ، 1984م) ص42 .

[12] – د. زيد خليل القرالة . *الحركات في اللغة العربيّة* . (إربد : جامعة آل البيت ، عالم الكتب الحديث للنشر ، ط1 ، 1325هـ ، 2004م) ص 82 .

[13] – د. رمضان عبد التّواب . *التطور اللغويّ مظاهره وعلله وقوانينه* . (القاهرة : مكتبة الخانجي ، الرّياض : دار الرّفاعيّ ، ط1 ، 1983م) ص 22– 23 .

يكون أبداً إلاّ غير متعدٍّ ، لأنّه إنّما جاء في كلامهم ، للهيئة التّي يكون عليها الفاعل ، لا لشيءٍ يفعله قصداً لغيره ، نحو : شَرُف وظَرُف . فجميع الأفعال الثّلاثيّة الماضيّة ، لا تكون عينُ الفعل منها إلاّ متحرّكة ، وإن سُكّنت فلعلّةٍ دخلَتْها ، وأصلُها الحركة ، فهي الأمثلة المبنيّة للفاعل . "[14]

ثمّ ينتقل لتوضيح الفعل المبنيّ للمجهول ، بالقول : " وأمّا الفعل المبنيّ للمفعول ، فعلى مثالٍ واحدٍ ، وهو (فُعِل) نحو: ضُرِب وقُتِل ، وهذا أصله (فَعَل أو فَعِل) ، ثمّ نُقل ، فجعل حديثاً عن المفعول ، ولا يكون (فُعِل) منقولاً من (فَعُلَ) أبداً ، لأنّ (فَعُل) لا يتعدّى ، والفعل لا ينقل إلى (فُعِل) حتّى يكون متعديّاً ، قبل النّقل ."[15]

ولعلّ تغيير حركات الصّوامت ، أعطانا تشكيلين صرفيّين متمايزين ، الأوّل للفعل اللازم (فَعُل) ، والثّاني للفعل المتعدّي ، تمثّله صيغتا (فَعَل وفَعِل) ، وأظهر أيضاً تشكيلين صرفيّين ، أحدهما للفعل المبنيّ للمعلوم تمثّله صيغ (فَعَل فَعِل فَعُل) ، والثّاني للفعل المبنيّ للمجهول ، تعبّر عنه صيغة (فُعِل) .

وتلعب العلاقات الصّوتيّة بين الصّوائت ذاتها ، دوراً في تفسير بعض المسائل الصّرفيّة ، ونذكر منها :

1- **ظاهرة التقاء السّاكنين في الكلام العربيّ :**

فقد درج علماء الصّرف التّقليديّون على أن يقولوا مثلاً : إنّ (قلْ) ، فعل أمرٍ أصله (قُولْ) ، فلمّا التقى ساكنان هما الواو واللام ، حذفت الواو لالتقاء السّاكنين ، وعوّض عنها بصائتٍ قصيرٍ مماثلٍ لها ، في المخرج والصّفة وهو (الضّمّة) ، فأصبحت الصّيغة (قُلْ) ، وفي حقيقة الأمر ، لم يكن من المستطاع أن تأتي الصّورة الثّانية ، لسببٍ صوتيّ ظاهرٍ يرتبط بخواصّ التّركيب المقطعيّ ، في اللّغة العربيّة ، فقد ثبت بالدّراسة ، أنّ التّركيب المقطعيّ (ص ح ح ص)[16] ، لا يقع في الحشو إلاّ نادراً لأنّه طارئ ، ولأنّ تغييره في الأسماء يوقع في لبسٍ ، فكأنّك تغيّر صيغة (بابْ) في الوقف فتصبح : (بَبْ) .

وهذا يعني أنّ عدم جواز التقاء السّاكنين مرتبطٌ ، بدورٍ حقيقيٍ تلعبه الصّوائت ، في البناء المقطعيّ للكلمات.

2- **تفسير بعض حالات الإعلال (على وفق قانون المماثلة) :**

فقد يتحوّل شبه الصّائت إلى صائتٍ للمماثلة ، في يبيع (yabyiʔ)

فالياء / y / شبه الصّائت في هذه الكلمة متبوعٌ بصائتٍ قصيرٍ (الكسرة) ، فيتحوّل شبه الصّائت (الياء) ، إلى كسرةٍ ، تبعاً لقانون المماثلة ، وهذا النّمط من المماثلة أيسر من غيره ، لوجود التّجانس بين شبه الصّائت والصّائت المؤثّر المجاور ، فالكسرة والياء شبه الصّائت من جنسٍ واحدٍ ، وتتمّ المماثلة على النّحو الآتيّ :

يبيع (yab/ yiʔ) ← (ya/ bi:ʔ) تحوّلت الياء / y / ، شبه الصّائت ، إلى كسرةٍ مماثلةٍ للكسرة اللاحقة :

i ـ / i ← y

i : ← i + i

---

[14] – ابن جنّي ، عثمان . *المنصف شرح ابن جنّي لكتاب التّصريف لأبي عثمان المازني* . تحقيق وتعليق : محمّد عبد القادر أحمد عطا .(بيروت : دار الكتب العلميّة ، ط1 ، 1419هـ ، 1999م) ص 49 – 52 . وينظر : ابن القطاع الصّقليّ . *كتاب الأفعال* . (بيروت : عالم الكتب ، ط1 ، 1403هـ ، 1983م) ص 10-11 .

[15] – المصدر السّابق . ص 52 ، وابن القطاع الصّقليّ . *كتاب الأفعال* . ص 11 .

[16] – ص = صوت صامت ، ح = صوت صائت ، ح ح = صائت طويل

تتوالى الصّوائت القصيرة المتماثلة ، فيتشكّل صائتٌ طويلٌ من جنسها ، وهذا النّمط من المماثلة ، يسمّى المماثلة الخلفيّة ، أي أنّ الصّوت اللاحق ، أثّر في الصّوت السّابق ، فأدّى إلى مماثلته ، وهذه مماثلةٌ مباشرةٌ ، أي لم يفصل بين الأصوات المتماثلة أيّ صوتٍ .

وقد يماثل الصّائتُ الصّائتَ ، في مثل : (**طُول وهِيب**) ، وذلك بقلب الضمّة فتحة في الأولى ، وقلب الكسرة فتحة في الثّانية ، وبذلك يصبح بناء الكلمات على النّحو الآتي : (**طَوَل وهَيَب**) ، وفي هذه الحالة تقع أشباه الصّوائت بين حركاتٍ متماثلةٍ ، ممّا يؤدّي إلى سقوطها ، فتلتقي الصّوائت القصيرة ، المتماثلة لتشكّل صوائت طويلة ، على وفق الآتي[17] :

طول ← طَوَلَ ← طال

Tawula ← tawala ← ta: la

هيب ← هَيَبَ ← هاب

hayiba ← hayaba ← ha: ba

u ← a/ a _

W ← o / a _ a تسقط الواو شبه الصّائت عندما تقع بين حركتين متماثلتين .

i ← a / a _

y ← o / a _ a تسقط الياء شبه الصّائت ، عندما تقع بين حركتين قصيرتين[18] .

ومن الملاحظ أنّ قانون المماثلة بين الصّوائت من القوانين الصّوتيّة المهمّة الفاعلة ، في التّشكيل الصّوتي للكلمة العربيّة ، حيث يلعب دوراً أساساً في تعليل كثيرٍ من حالات الإعلال في الصّرف العربيّ .

وهنالك قانونٌ صوتيٌّ آخر يسير في عكس اتجاه المماثلة الصّوتيّة ، وهو المخالفة الصّوتيّة ، ولعلّه القانون الأكثر أهميّةً في تفسير كثيرٍ من حالات الإبدال الصّوتيّ ، في لغتنا الفصحى ، حيث يستعين – على نحوٍ رئيسٍ – بالصّوائت القصيرة والطّويلة ، للتّخلّص من مشقّاتٍ نطقيّةٍ ، أي إنّه يختار الأصوات التي تتّسم بصفة قوةٍ ، تميّزها من غيرها ، وتتسّم هذه الصّفة بملمح الوضوح السّمعيّ (sonority) ، وتلعب المخالفة بين الصّوائت دوراً مهمّاً في تعليل كثيرٍ من التّغيّرات الصّوتيّة الصّرفيّة ، وهي واضحة جليّة لدرجة انعدام أيّ مبرّر للتّغيّر الصّوتيّ إلاّ من خلال المخالفة . ويمكننا – اعتماداً على هذا القانون – تفسير ما يأتي :

أ- حالة التثنية في الفعل المضارع المعتلّ الآخر :

لا تقتصر المخالفة الصّوتيّة على العلاقة بين الصّوائت القصيرة والصّوائت الطّويلة ، بل تقع بين الصّوائت الطّويلة أيضاً ، فلو نظرنا إلى الصّائت الطّويل (الألف المقصورة) في نهاية الفعل المضارع ، الدّالّ على المفرد ، لوجدنا أنّها تتحوّل إلى الياء شبه الصّائت ، عند استخدامه للدّلالة على المثنّى ، وعلّة ذلك أنّ دخول الصّائت الطّويل الذي يمثّل مورفيم التّثنية ، يؤدّي إلى تتابع الصّوائت الطّويلة المتماثلة ، والصّوائت لا تتوالى ، والفتحة الطّويلة الدّالّة على مورفيم التّثنية لابدّ من ثباتها ، فتتحوّل الفتحة الطّويلة السّابقة إلى الياء ، شبه الصّائت ، وذلك للمخالفة ، ومن أمثلة ذلك [19]:

---

[17] – د. زيد القرالة . *الحركات في اللغة العربيّة* . ص 87 .

[18] – المرجع السّابق . ص 78 .

[19] – المرجع السّابق . ص96 .

يسعى ← يسعيان (yasʕ a:) ← (yasʕ aya :ni)

(yas ʕ a :a:ni) ← (yasʕ a:)

بدخول ألف التّثنية تتابعت الصّوائت الطّويلة المتماثلة .

(yasʕ aya :ni) ← (yasʕ a :a:ni)

a: ← y / a: ــ (+ مورفيم التّثنية)

تحوّل الصّائت الطّويل (الألف المقصورة) إلى الياء (شبه الصّائت) ، عندما تلاها الصّائتٌ الطويل (الألف) الذي يمثّل مورفيم التّثنية ، وذلك لعدم جواز توالي الصّوائت المتماثلة [20].

ب- إبدال الأفعال التي تتسم بملمح التّكرار ، بأصواتٍ صائتة ، أو شبه صائتة : حيث يسهم قانون المخالفة الصّوتيّة في خلق تشكيلاتٍ بنيويّةٍ مختلفةٍ ، لكثيرٍ من الكلمات المضعّفة ، وقد أورد الأقدمون كثيراً منها ، في كتبهم[21] ، نذكر منها :

تظنّيتُ	وأصلها	تظنّنتُ
تقصّيتُ	وأصلها	تقصّصتُ
قصّيتُ	وأصلها	قصّصتُ
يتمطّى	وأصلها	يتمطّطُ
دسّاها	وأصلها	دسّسها

وتقع المخالفة من خلال سقوط الصّامت ، وذلك عند توالي المتماثلات ، حيث ورد في كلّ كلمة من الأمثلة السّابقة ، ثلاثة أصوات متماثلة (النّون في المثال الأوّل ، والصّاد في المثالين الثّاني والثالث ، والطّاء في المثال الرابع ، والسّين في المثال الخامس) ، ومن خلال قانون المخالفة ، تمّ إسقاط المماثل الأخير ، وبسقوط هذا الصّوت نلاحظ أنّ الصّوائت القصيرة المتماثلة ، قد توالت ، وفي هذه الحالة يتشكّل صّائتٌ طويلٌ ، من جنس هذه الصّوائت، ونشير إلى أنّ صوت المدّ لم يتبادل مع الصّامت في الأمثلة السّابقة ، وإنّما تشكّل بعد سقوط الصّامت ، فالمخالفة تمّت بسقوط الصّوت الصّامت ، وقد أشار فندريس إلى أنّه " كثيراً ما يحدث أن تكون نتيجة التّخالف ، اختفاء الصّوت ، لا أكثر ولا أقلّ "[22] . ولتوضيح ذلك نحلّل المثال الأوّل من الأمثلة السّابقة :

تظنّنت ← تظنّت (بعد إسقاط المماثل الأخير) ← تظنّيت

تظنّتُ (tadannatu) على وزن (تفعّتُ) ، وهنا يظهر غياب اللام من وزن الفعل ، ولإعادة الكلمة إلى وزنها الصّحيح ، وإزالة ما ظهر من اضطرابٍ ، كان لابدّ من دخول الياء ، فأصبحت الكلمة على البناء الآتي:

---

[20] – ينظر : المرجع السّابق . ص 96 .

[21] – ينظر : عثمان بن جنّي . *سرّ صناعة الإعراب* . تح : حسن هنداويّ . (دمشق : دار القلم ، ط1 ، 1985م) ج2 ص 775 . وأبو عليّ الفارسيّ . *الحجّة في علل القراءات السّبع* . تح : علي النّجدي ناصف و عبد الحليم النّجّار وعبد الفتّاح شلبي . (القاهرة : الهيئة المصريّة العامّة للكتاب ، 1883م) ج1 ص155 .

[22] – ج .فندريس . *اللّغة* . تعريب : عبد الرّحمن الدّواخليّ و محمّد القصّاص . (القاهرة : مكتبة الأنجلو المصريّة ، د. ت) ص 94 .

تظنّيت ، وتوزن على (تفعّلت) ، وبهذا فإنّ مجيء الياء يمثّل بديلاً صوتيّاً ، له أثره في الوزن ، وذلك بحلول الياء مكان الصّوت المحذوف [23].

أمّا علّة مجيء الياء مكان الصّامت الذي أسقط في المثال السّابق ، فهي إبقاء المعنى الذي تتضمّنه الكلمة ، قبل حذف الصّامت ، فلو أدخل صامتٌ غير الياء مكان الصّامت المحذوف ، لأدّى ذلك إلى تغيّر المعنى ، ولو جيء بالواو شبه الصّائت ، لكانت أثقل في أدائها الصّوتيّ ، من أداء الكلمة بوجود الياء ، ولعلّ إحساس العرب ، بخفّة الياء ، إذا ما قيست بالواو ، كان الدّافع لاستعمالها ، ولهذا فقد كانت الياء شبه الصّائت ، هي الصّوت الذي يتحاشى المعضلتين [24].

أمّا السّبب في إبدال الحرف المضعّف ، بصائتٍ طويلٍ أو شبه صائتٍ ، أو أحد الأصوات المائعة ، هو الصّعوبة في تكرير هذا الصّوت بسرعةٍ ، حيث يصعب على اللّسان أن يرتفع من مكانه ، ثم يعود إلى المكان ذاته، في اللّحظة نفسها ، لينطق الصّوت مرّةً ثانيةً ، لذلك يلجأ المتكلّم إلى إبدال أحد الأصوات المتشابهة ، بأحد الأصوات الصّائتة ، أو أحد الأصوات المائعة ، لعدم المشقّة في نطقها .

ج- حركة النّون في حالة الأفعال الخمسة :

وتتمّ عملية الرّفع بثبوت النّون ، وهذه النّون لا تردُ في حركتها مماثلةً ، لأيٍّ من الصّوائت الطّويلة السّابقة لها (الألف والواو والياء) ، حيث حدثت مخالفةٌ صوتيّةٌ ، ففي حالتي التّثنية للغائبين والمخاطبين (يكتبانِ ، تكتبانِ) ، وردت النّون مسبوقةً بالصّائت الطّويل (الألف) ، غير أن حركتها جاءت مكسورةً ، لمخالفة الصّائت الطّويل الذي قبلها .

وفي حالتي الجمع للغائبين والمخاطبين (يكتبونَ ، تكتبونَ) ، جاءت النّون مسبوقةً بصائتٍ طويلٍ (الواو)، ولكنّ حركة النّون وردت مخالفةً لها ، حيث جاءت مفتوحةً ، أمّا في حالة الخطاب للمؤنّث المفرد (تكتبينَ) ، فإنّ حركة النّون جاءت مسبوقةً بصائت طويلٍ (الياء) ، غير أنّ حركتها التّالية ، جاءت مخالفةً لها ، حيث جاءت مفتوحةً [25] .

وممّا تقدم ، فإنّ الدّور الذي تلعبه الصّوائت ، في التّشكيلات البنيويّة للكلمات المبدلة ، هو دورٌ رئيسٌ ، فغاية الإبدال الصّوتيّ تحقيق الانسجام اللّفظيّ ، والهروب من مشقّاتٍ نطقيّةٍ للكلمة ، قبل الإبدال . ولذلك كلّه ، فإنّ الصّوائت تتفاعل مع ما قبلها أو ما بعدها ، ويُنتج هذا التّفاعل صيغاً بنيويّة ، تجعل التّشكيل الصّوتيّ للكلمة الخاضعة للإبدال ، تشكيلاً مستساغاً .

---

[23] – د. زيد القرالة . *الحركات في اللغة العربيّة* . ص 92 ، وينظر : د. رمضان عبد التوّاب . *التّطوّر اللغويّ* . ص40 .

[24] – من المعروف أنّ الياء أثقل من الواو من حيث الأداء الصّوتيّ ، لكنّ الواو أثقل من الياء من حيث الجهد العضليّ المبذول في نطقها ، إذ ورد عن اللغويين أنّ الضّمّة والكسرة حركتان ثقيلتان متباينتان في المخرج ، لكنّ الأولى أثقل للاحتياج فيها إلى تحريك عضلتين ، ثمّ الكسرة إذ لا يحتاج فيها إلا إلى تحريك عضلةٍ واحدةٍ ، ثمّ الفتحة إذ لا يحتاج فيها إلى تحريك عضلة . ينظر : الجاربردي . *مجموعة الشّافية من علمي الصّرف والخطّ* . ومعه حاشية ابن جماعة الكنانيّ . (بيروت : عالم الكتب ، د. ت) ج1 ص29 . و.د. غالب المطّلبي . *في الأصوات اللغويّة ، دراسة في أصوات المدّ العربيّة* . ص 106 . و. د. زيد القرالة . *الحركات في اللغة العربيّة* . ص 93 .

[25] – ينظر : د. رمضان عبد التوّاب . *التّطوّر اللغويّ* . ص 43 .

ثانياً : أثر الأصوات الصّائتة في التّراكيب النّحويّة

إنّ صلة الأصوات بالدّرس النّحويّ صلةٌ مهمّةٌ جدّاً ، فبعض مسائل النّحو لا يمكن تعليلها إلاّ بالرّجوع إلى علم الأصوات ، ومع هذا لم يلق الموضوع عناية الجمهرة الواسعة من النّحويين واللّغويين العرب . وعلى الرّغم وجود بعض الملاحظات القيّمة في مجال الدّراسات الصّوتيّة النّحويّة ، فإنّ كثيراً من النّحويين القدامى والمحدثين ، عرضوا بعض مسائل النّحو ، واعتلّوا لها بعلٍ ، لا ترقى إلى مستوى الإقناع ، لعدم اعتنائهم بمسألة التّعليل الصّوتيّ ، للمسائل النّحويّة المطروحة ، حيث تلعب العلاقات الصّوتيّة بين الصّوائت ، دوراً في تعليل بعض المسائل النحويّة ، ونذكر مجموعةً من الأمثلة التي يحكمها قانونا ، المماثلة والمخالفة :

1- **قانون المماثلة أو التّوافق الحركيّ** : وقد تنبّه اللّغويّون والنّحاة لهذا النّوع من المماثلة ، في بعض التّراكيب النّحويّة ، فعلّلوا ما يأتي :

أ- **كسر آخر المضاف إلى ياء المتكلّم** ، بأنّه لون من الانسجام الصّوتيّ ، وذكروا أنّ الحركة الإعرابيّة ، تقدّر على ما قبل الياء ، لانشغال المحلّ بحركةٍ مناسبةٍ ، لأنّ جهاز النّطق ميّالٌ إلى التّخفيف ، من الجهد العضليّ الذي يبذله ، في أداء الأصوات اللّغويّة ، في نطاق المفردات أو الجمل ، وعلى هذا فقد ذهب بعض القدماء ، إلى أنّ الكسرة هنا ، هي حركة بناءٍ لا حركة إعرابٍ طارئةٍ[26] ، وإليه ذهب بعض المحدثين[27] .

ب - نصب (إنّ) وأخواتها للاسم بعدها :

ذهب النّحويّون إلى أنّ (إنّ) وأخواتها تنصب المبتدأ ، اسماً لها ، وترفع الخبر ، خبراً لها ، لأنّها أشبهت الأفعال [28]، وجعلوا بينها وبين (كان) مناسبةً وشبهاً في اللّفظ والمعنى ، ثمّ جعلوا (إنّ) فرعاً لـ (كان) ، فأعطيت حكم الفروع ، وهو تقديم المفعول على الفاعل ، فصار اسمها لهذه العلّة ، منصوباً [29]، ويرى بعض الباحثين ، أنّ النّصب الذي نلحظه في اسم (إنّ) وأخواتها ، لم يأت ممّا ذكر ، وإنّما من مماثلة النّصب وعلامته الأصليّة ، الفتحة ، لحركة الفتح في أواخر (إنّ) وأخواتها التي لا تنفكّ عنها ، خاصّة أنّ أربعةً منها مشدّدة ، وهذا ما يمنحها قوّةً مؤثّرةً ، فيما يليها مع توثيق الفتح الملازم لها ، أمّا ما نوّن من أسمائها فلبيان التّنكير ، في هذه الأسماء واستقلالها وانفصالها ، عمّا بعدها ، وهو معنى يقع مع وقوع الإتباع الحركيّ ، بين (إنّ) وسائر أخواتها وما يليها ، فضلاً عن أنّ التّنوين صوتٌ يلحق الحركة ولا يلغيها .[30]

ج- فتح (لام المستغاث) :

ذهب النّحويّون إلى أنّ لام المستغاث ، وهي لام الجرّ المكسورة ، تفتح مع المستغاث المباشر لها [31]، ولا تكسر مع ياء المتكلّم ومع الضّمير ، من نحو : يا لَك[32]، لأنّ المستغاث يقع موقع الضّمير ، وكأنّهم يقصدون بذلك

---

[26] – ينظر : أبو القاسم الزمخشريّ . المفصّل في صنعة الإعراب . تح : د. علي بو ملحم . (بيروت : دار ومكتبة الهلال ، ط1 ، 1993م) ج1 ص 139 – 140 .

[27] – ينظر : د. طارق عيد عون الجنابيّ . *"قضايا صوتيّة في النّحو العربيّ"* . مجلّة المجمع العلميّ العراقيّ ، العدد الثّانيّ . (1987م): 371 .

[28] – أبو العبّاس المبرّد . *المقتضب* . تح : محمّد عبد الخالق عضيمة . (بيروت : عالم الكتب ، د.ت) ج4 ص 108 .

[29] – ابن برهان العكبريّ . *شرح اللّمع* . تح : د. فائز فارس . (الكويت : السلسلة الثّقافيّة ، ط1 ، 1984م) ج1 ص 62 .

[30] – د. طارق الجنابيّ . *"قضايا صوتيّة في النّحو العربيّ"* . ص 373 .

[31] – ابن هشام الأنصاريّ . *مغني اللّبيب عن كتب الأعاريب* . حقّقه وعلّق عليه : د. مازن المبارك ومحمّد علي حمد الله و سعيد الأفغانيّ . (طهران : مؤسسة الصّادق ، ط1 ، 1378هـ) ج1 ص 288 .

أنّ المستغاث غائبٌ ، كما أنّ الضّمير غائبٌ ، في نحو قولنا : لَهُ و لَها و لَهم و لَهنّ ، وحيل عليه ضمائر المخاطبين ، نحو : لكَ ولكِ ولَكمْ ولَكما ، أو للفرق بين المستغاث به والمستغاث من أجله [33]، وليس الأمر كما توهّموا ، فالعلّة في فتح اللام مع الضّمير ومع المستغاث ، علّةٌ صوتيّةٌ واحدةٌ ، وليس ثمّة مشابهة بين الضّمير والمستغاث ، ليصحّ قياسهم بعلّة هذه المشابهة ، فاللام مع المستغاث فتحت إتباعاً ، ومماثلةً للصائت الطّويل في أداة الاستغاثة (يا) ، لتخفيف الجهد على جهاز النّطق ، لأنّ الانتقال من الصّائت الطّويل الذي يجري مع الألف إلى الفتح ، أيسر وأسهل وأخفّ ، ولكنّه إذا انتقل إلى الكسر ، أدّى ذلك إلى إجهادٍ وصعوبةٍ على جهاز النّطق ، فيعدل عنها إلى ما هو أسهل منها ، وهو الانتقال من الصّائت الطّويل (الألف) ، إلى الصّائت القصير المناظر (الفتحة)، وهذا يعني أنّ لام الاستغاثة تفتح مع (يا) الاستغاثة مطلقاً ، فإذا لم تكرّر (يا) في الاستغاثة كسرت اللام ، كقولنا يا لَزيدٍ ولِعمرو ، وممّا جاء منها قول الشّاعر[34] :

يبكيكَ ناءٍ بعيدُ الدّار مغتربٌ يا لَلكهول ولِلشّبّانِ لِلعَجَبِ

ولكنّ (يا) إذا كرّرت مع المستغاث ، فُتحتْ [35]، أمّا قول العرب (يا لِلعجب ويا لِلماء) [36]، فمحمولٌ على أنّ ما بعدها مفعولٌ لأجله [37]، ولكنّ منهم من قال : (يا لَلعجب ، ويا لَلماء) بالفتح [38] .

ومثل لام المستغاث ، تفتح لام الجرّ مع الضّمائر [39]، وتفسّر بالتّغيّر ذاته ، لأنّ كلّ الضّمائر المتّصلة ، إمّا مفتوحةٌ وإمّا مضمومةٌ ، أمّا فتح اللام مع كاف المؤنّثة المخاطبة مع كونها مكسورةً ، فهو للتّسهيل والتّخفيف والابتعاد عن الانتقال من الكسر إلى الكسر ، نحو : لَكِ الخيرُ .

د- بناء اسم (لا) النّافية للجنس : يرى النّحويّون أنّ اسم (لا) النّافية للجنس ، مبنيٌّ على الفتح[40] ، لأنّه يتركّب معها كتركيب (أحد عشر) وأصواتها[41] ، وذهبوا إلى أنّ التّنوين حذف للتّخفيف ،[42] لأنّ الفتحة هي فتحة

---

[32] – المصدر السّابق . ج1 ص 290 .

[33] – ينظر : المصدر السّابق . ج1 ص 290-291 .

[34] – عبد القادر بن عمر البغداديّ . *خزانة الأدب ولبّ لباب لسان العرب* . تحقيق وشرح : عبد السلام محمّد هارون . (القاهرة : مكتبة الخانجي ، ط1 ، 1406هـ ، 1986م) ج2 ص 154 .

[35] – ينظر : د. سامي عوض . *المفصّل في علم النّحو* . (سوريا : جامعة تشرين ، 2004-2005م) ج3 ص 107 – 108 .

[36] – سيبويه . *الكتاب* . تحقيق وشرح : عبد السّلام محمّد هارون . (بيروت : عالم الكتب ، د.ت) ج2 ص 219 ، وينظر : أبو العبّاس المبرّد . *الكامل* . حققه وعلّق عليه ووضع فهارسه : د. محمّد أحمد الدّالي . (بيروت : مؤسسة الرّسالة ، ط3 ، 1408هـ ، 1997م) مج3 ص 1199 ، و أبو العبّاس المبرّد . *المقتضب* . ج4 ص 256 .

[37] – ينظر : ابن هشام الأنصاريّ . *مغني اللبيب* . ج1 ص 290 .

[38] – أبو العبّاس المبرّد . *المقتضب* . ج4 ص 256 .

[39] – ينظر : ابن هشام الأنصاري . *مغني اللبيب* . ج1 ص 274 . وينظر : جلال الدّين السّيوطيّ . *همع الهوامع في جمع الجوامع* . تح: أحمد شمس الدّين . (بيروت : دار الكتب العلميّة ، ط1 ، 1418هـ ، 1998م) ج1 ص 180 .

[40] – يبنى اسم (لا) النّافية للجنس على ما ينصب به ، إن كان مفرداً ، وينصب إن كان مضافاً أو شبيهاً بالمضاف ، ينظر : ابن هشام الأنصاريّ . مغني اللبيب . ج1 ص 313 .

[41] – سيبويه . *الكتاب* . ج1 ص 345 .

[42] – ابن هشام الأنصاري . *مغني اللبيب* . ج1ص 314 .

إعرابٍ ، والاسم مع (لا) مركّبٌ مع إعرابه ، لا ينفصل عنه ، كما لا ينفصل (عشر) ، عن (خمسة) وذهب آخرون إلى أنّ (لا) نصبت الاسم أوّلاً ، ثمّ بني بعد ذلك [43] .

ويرى الدّكتور الجنابيّ ، أنّ علّة الفتح تأتي من جهتين [44]:

– أنّ المركّب يستطيل بالتّركيب ولهذا يتحرّك جزآه بالفتحة ، لما تمتاز به ، من النّاحية النّطقيّة ، من الخفّة في اللّفظ . فهي صائتٌ خفيفٌ .

– أنّ ملازمة (لا) النّافية للجنس لاسمها ، أدّى إلى تأثيرٍ واضحٍ للصائت الطّويل ، في حركة اسمها ، فكان هذا الصّائت القصير (الفتحة) ، مماثلاً لنظيره الطّويل (الألف) . وهكذا كان من اللازم في منطق اللّغة ، أن يكون اسم (لا) مبنيّاً على الفتح .

2– قانون المخالفة أو التّخالف الحركيّ :

نوضّح أنّ قانون المخالفة الصّوتيّة يحدث بين الصّوامت ، والتّخالف الحركيّ بين الصّوائت ، وقد أشار اللّغويّون إلى أنّ الغرض منه تجنّب توالي الأمثال في الكلمة الواحدة ، وفيه نوعٌ من التّيسير على جهاز النّطق [45]، فاستندوا إليه في تعليل بعض المسائل النّحويّة ومنها :

أ – **نصب جمع المؤنّث السّالم بالكسرة :** جمع المؤنّث السّالم هو ما جمع بألف وتاء زائدتين على مفرده ، للدّلالة على الجمع والتّأنيث ، والمشهور من آراء النّحويين ، أنّ علامة نصبه الكسرة نيابةً عن الفتحة ، وقد جعله المحدثون من باب (المخالفة الصّوتيّة) [46]، فلمّا جاورت الألف ، وهي صائتٌ طويلٌ ، الفتحة ، وهي صائتٌ قصيرٌ ، توالى المثلان ، وهما الألف والفتحة ، فقلبت الفتحة كسرة [47]، ليسهل النّطق بهذه المخالفة ، وروى الكوفيّون نصبه بالفتحة في قول العرب " سمعتُ لغاتَهم " ، وما نقله الرّياشي من قولهم : ورأيتُ بناتَك ، أخذتُ إراتَهم[48] ، وجعلوا منه قول العرب : استأصل الله عِرقاتَهم [49]، وفي هذا آراء وتأويلات[50] .

ولكنّ الفتح يؤدي إلى مماثلةٍ صوتيّةٍ ، غير مقبولةٍ لاشعوريّاً عند الناطقين ، فنُصب جمع المؤنّث بالكسرة ، لغرض تحقيق المخالفة الصّوتيّة ، مع الصّائت الطّويل (الألف) الذي قبلها ، وهي مخالفةٌ غير مباشرة ، لوجود فاصل بين الحركتين ، وهو صوت التّاء .

---

[43] – أبو العباس المبرّد . *المقتضب* . ج4 ص 375 . وابن هشام الأنصاري . *مغني اللبيب* . ج1ص 313 .

[44] – د. طارق الجنابيّ . *" قضايا صوتيّة في النّحو العربيّ "* . ص 372 .

[45] – ينظر : جرجي زيدان . *الفلسفة اللغويّة والألفاظ العربيّة* . مراجعة وتعليق : د. مراد كامل . (بيروت : دار الحداثة ، ط2 ، 1982م) ص 62–63 .

[46] – المرجع السّابق . ص 63 . و عبد الحسين معتوق صكر . *الظّواهر اللّغويّة في الأمثال العربيّة* .(العراق : جامعة البصرة ، 1987م) ص 138 .

[47] – د. رمضان عبد التّوّاب . *التّطوّر اللغويّ* . ص67 ، و عبد الحسين معتوق صكر . *الظّواهر اللغويّة في الأمثال العربيّة* . ص 138.

48 – ابن جنّي . *الخصائص* ، تح : محمّد علي النّجّار . (بيروت : دار الكتاب العربيّ ، د.ت) ج1 ص384 .

[49] – المصدر السّابق . ج3 ص 304 .

[50] – ينظر : عبد الحسين معتوق صكر . *الظّواهر اللغويّة في الأمثال العربيّة* . ص 138 – 139 .

ب – كسر نون المثنّى : المثنّى هو ما دلّ على اثنين أو اثنتين ، متّفقين في اللّفظ والمعنى بزيادة ألفٍ ونونٍ مكسورةٍ أو ياءٍ ونونٍ مكسورةٍ ، وإنّما كسرت نون المثنّى لأنّها سبقت بصائتٍ طويلٍ ، وهو الألف في حالة الرّفع ، فكره تحريكها بالفتح ، لتفادي اجتماع المثلين ، حيث يحكم التّغيير قانون المخالفة الصّوتيّة [51]، أمّا في حالتي الجرّ والنّصب فيكون كسرهما ، لمماثلة حركة الياء ، إذ لا يمكن الانتقال من الياء الثّقيلة إلى الفتح الخفيف ، كما في كسر آخر المضاف إلى ياء المتكلّم .

– أثر الأصوات الصّائتة في توضيح المعاني النّحويّة :

وفي السّياق ذاته ، تعتمد اللّغة العربيّة ، في أداء معانيها النحويّة ، على المورفيمات الصّوتيّة ــ وهي عناصر صوتيّة دالّة على المعاني النحويّة[52] ــ لا على التّرتيب ، فإذا قلنا : (ضربَ محمّد سميراً) أو (محمّد ضربَ سميراً) أو (سميراً ضربَ محمّد) ، لم يختلف المعنى ، وبقي (محمّد) هو الضارب ، و (سميرٌ) هو المضروب ، وذلك لأنّ التّعبير عن فاعليّة (محمّد) و مفعوليّة (سمير) ، قامت به الضّمّة في (محمّد) ، والفتحة في (سمير) ، لا موقع كلٍّ من الكلمتين في الجملة .[53] وهذا يُظهر جليّاً أنّ الصّوائت تسهم في بناء التّراكيب ، ودلالة المعاني النّحويّة .

الاستنتاجات التّوصيات:

خلص البحث إلى النّتائج الآتية :

– تلعب العلاقات الصّوتيّة دوراً بارزاً ، في تحديد الوحدات الصّرفيّة ، وبيان قيمتها ، حتّى إنّ الدّراسات الصّرفيّة تبقى قاصرةً ، إنْ لم تستند إلى علم الأصوات ، وقد تبيّن أنّ صلة الأصوات بالدّرس النّحويّ صلةٌ مهمّةٌ جدّاً ، فبعض مسائل النّحو لا يمكن تعليلها إلا بالرّجوع إلى علم الأصوات ، حيث تلعب العلاقات الصّوتيّة بين الصّوائت دوراً في تعليل بعض المسائل النّحويّة .

– إنّ الاختلاف بين بنيةٍ صرفيّةٍ وأخرى ، مرتبطٌ ارتباطاً جليّاً بحقائق صوتيّة محدّدة ، حيث يمكننا التّمييز بين تشكيلٍ صرفيّ اسميّ وآخر ، بوساطة تغييرٍ في صوائت صوتٍ صامتٍ ، من أصوات اللّفظ .

– تؤثّر الصّوائت في الألفاظ ، من النّاحية الصّرفيّة الدّلاليّة ، فنستطيع بوساطة الصّوائت القصيرة مثلاً ، تحديد دلالة صيغة (فَعَل) ، سواءٌ أكانت فعلاً أم وصفاً أم اسماً .

– إنّ دراسة المجال الصّرفيّ تقودنا إلى قضيّة الاشتقاق ، أو كيفيّة إنشاء الوحدات اللّغويّة عن طريق أدوات الإلحاق أو التصدّير ، وتلعب الصّوائت دور أدوات الإلحاق ، التي تؤثّر في اللّفظة الأصليّة ، فتحوّلها من زمرةٍ إلى أخرى .

– تمتاز اللّغة العربيّة ، بحصول معظم حالات الاشتقاق ، بوساطة تغيير الصّوائت ، التي تتعاون مع الأدوات الملحقة الأخرى ، للوصول إلى البناء الصّرفيّ المطلوب .

---

[51] – ينظر : د. رمضان عبد التوّاب . *التّطوّر اللغويّ* . ص42 .

[52] – ينظر : د. محمود فهمي حجازي . *مدخل إلى علم اللّغة* . (القاهرة : دار الثّقافة للنشر والتّوزيع ، ط2 ، 1409هـ ، 1989م) ص56 .

[53] – ينظر : ج . فندريس . *اللغة* . ص 187 .

– تفسّر العلاقات الصّوتيّة بين الصّوائت ذاتها ، بعض الحالات الصّرفيّة ، كعلّة عدم جواز التقاء السّاكنين ، حيث يتعلّق تفسيرها بدورٍ حقيقيٍ تلعبه الصّوائت ، في البناء المقطعيّ للكلمات .

– تلعب العلاقات الصّوتيّة بين الصّوائت دوراً في تعليل بعض المسائل النحويّة ، حيث يفسّر لنا قانونا التّوافق والتّخالف الحركيّين ، كثيراً من القضايا النّحويّة التي لا يمكن تعليلها ، دون الرّجوع إلى علم الأصوات .

– تسهم الصّوائت في بناء التّراكيب ، ودلالة المعاني النّحويّة .

وفي الخاتمة نودّ أن نوضّح أنّ ما يرومه البحث هنا ، ليس التّركيز على الأصوات الصّائتة على نحوٍ مستقلٍّ، بل دراستها دراسةً عميقةً ، بوصفها جزءاً أساساً من الدّرس الصّوتيّ ، الذي يعدّ النّواة الحقيقيّة ، لأيّة دراسةٍ علميّةٍ جادّةٍ ، في الصّرف والنّحو والدّلالة ، لهذا لم يفصل علماء اللّغة بين مستويات اللّغة الصّوتيّة والصّرفيّة والنّحويّة والتّركيبيّة والأسلوبيّة والمعنويّة ، وعدّوها جزءاً لا يتجزّأ من نظامٍ لغويٍّ متكاملٍ ، يمثّل المستوى الصّوتيّ ، العنصر الرئيس في هذا النّظام ، حيث تنعكس خصائصه على المستويات الأعلى ، فلا يمكن تفسير خصائصه ، بحقائق من المستويات اللّغويّة الأخرى ، في حين أنّ العكس ممكنٌ ...

المصادر والمراجع:

1- القرآن الكريم .

2- إبراهيم ، عبد الفتّاح . *مدخل في الصّوتيّات* . (تونس : دار الجنوب للنشر ، د.ت) .

3- ابن جنّي ، عثمان . *الخصائص* . تح : محمّد علي النّجّار. (بيروت : دار الكتاب العربيّ ، د.ت)

4- ابن جنّي ، عثمان . سرّ صناعة الإعراب . تح : حسن هنداويّ . (دمشق : دار القلم ، ط1،1985م) .

5- ابن جنّي ، عثمان . *المنصف شرح ابن جنّي لكتاب التّصريف لأبي عثمان المازني* . تحقيق وتعليق : محمّد عبد القادر أحمد عطا . (بيروت : دار الكتب العلميّة ، ط1 ، 1999م) .

6- ابن منظور ، جمال الدّين . *لسان العرب* . نسّقه وعلّق عليه ووضع فهارسه : علي شيري . (بيروت : دار إحياء التّراث العربيّ ، ط1 ، 1988م) .

7- الأنصاريّ ، ابن هشام . *مغني اللّبيب عن كتب الأعاريب* . حقّقه وعلّق عليه : د. مازن المبارك ومحمّد علي حمد الله و سعيد الأفغانيّ . (طهران : مؤسسة الصّادق ، ط1 ، 1378هـ) .

8- أنيس ، إبراهيم . *الأصوات اللغويّة* . (القاهرة : مكتبة الأنجلو المصريّة ، ط5 ، 1979م) .

9- بشر ، د. كمال . *علم الأصوات* . (القاهرة : دار غريب للطّباعة والنّشر والتّوزيع ، 2000م) .

10- بعلبكي ، د. رمزي منير . *فقه اللّغة المقارن ، دراسات أصوات العربيّة وصرفها ونحوها على ضوء اللّغات السامية* . (بيروت : دار العلم للملايين ، 1999م) .

11- البغداديّ ، عبد القادر بن عمر . *خزانة الأدب ولبّ لباب لسان العرب* . تحقيق وشرح : عبد السلام محمّد هارون . (القاهرة : مكتبة الخانجي ، ط1 ، 1986م) .

12- بكر ، السّيّد يعقوب . *دراسات في فقه اللغة العربيّة* . (بيروت : مكتبة لبنان ، 1969م) .

13- الجاربردي . *مجموعة الشّافية من علمي الصّرف والخطّ* . ومعه حاشية ابن جماعة الكنانيّ . (بيروت : عالم الكتب ، د. ت) .

14- حجازي ، د. محمود فهمي . *مدخل إلى علم اللّغة* . (القاهرة : دار الثّقافة للنشر والتّوزيع ، ط2 ، 1989م) .
15- خليل ، د. عبد القادر مرعي . *المصطلح الصّوتيّ عند علماء العربيّة القدماء ، في ضوء علم اللّغة المعاصر* . (الأردن : جامعة مؤتة ، ط1 ، 1993م) .
16- الزمخشريّ ، أبو القاسم . المفصّل في صنعة الإعراب . تح : د. علي بو ملحم . (بيروت : دار ومكتبة الهلال ، ط1 ، 1993م) .
17- السّعران ، د. محمود . *علم اللّغة "مقدمة للقارئ العربيّ"* . (بيروت: دار النهضة العربيّة ، د.ت) .
18- سيبويه ، عمرو بن عثمان . *الكتاب* . تحقيق وشرح : عبد السّلام محمّد هارون . (بيروت : عالم الكتب، د.ت) .
19- السّيوطيّ ، جلال الدّين . *همع الهوامع في جمع الجوامع* . تح : أحمد شمس الدّين . (بيروت : دار الكتب العلميّة ، ط1 ، 1998م) .
20- شاهين ، د. عبد الصّبور . *المنهج الصّوتي للبنية العربيّة ، رؤية جديدة للصّرف العربيّ* . (بيروت : مؤسسة الرسالة ، ط1 ، 1988م) .
21- الصّالح ، صبحي . *دراسات في فقه اللّغة* . (بيروت : دار العلم للملايين ، ط4 ، 1970م) .
22- الصّقليّ ، ابن القطاع . *كتاب الأفعال* . (بيروت : عالم الكتب ، ط1 ، 1983م) .
23- صكر ، عبد الحسين معتوق . *الظّواهر اللّغويّة في الأمثال العربيّة* . (العراق : جامعة البصرة ، 1987م) .
24- عبد التّوّاب ، د. رمضان . *التّطوّر اللغويّ ، مظاهره وعلله وقوانينه* . (القاهرة : مكتبة الخانجي ، والرّياض ، دار الرّفاعيّ ، ط1 ، 1983م) .
25- العكبريّ ، ابن برهان . *شرح اللّمع* . تح : د. فائز فارس . (الكويت : السلسلة الثّقافيّة ، ط1 ، 1984م) .
26- العلايلي ، عبد الله . *مقدّمة لدرس لغة العرب* . (مصر : المطبعة العصريّة ، د.ت) .
27- عوض ، د. سامي . *المفصّل في علم النّحو* . (سورية : اللاذقيّة ، جامعة تشرين ،2004-2005م) .
28- الفارسيّ ، أبو عليّ . *الحجّة في علل القراءات السّبع* . تح : علي النّجدي ناصف و عبد الحليم النّجّار وعبد الفتّاح شلبي . (القاهرة : الهيئة المصريّة العامّة للكتاب ، 1883م) .
29- فندريس ، ج . *اللغة* . تعريب : عبد الرّحمن الدّواخليّ و محمّد القصّاص . (القاهرة : مكتبة الأنجلو المصريّة ، د. ت) .
30- القرالة ، د. زيد خليل . *الحركات في اللّغة العربيّة* . (إربد : جامعة آل البيت ، عالم الكتب الحديث للنشر، ط1 ، 2004م) .
31- كريستل ، دافيد . *التعريف بعلم اللّغة* . ترجمة : د. حلمي خليل . (سورية : مديرية الكتب والمطبوعات ، جامعة تشرين ، 1981م - 1982م) .
32- مالمبرج ، بريتل . *علم الأصوات* . تعريب ودراسة : د. عبد الصّبور شاهين . (القاهرة : مكتبة الشّباب ، د.ت) .

33- المبرّد ، أبو العبّاس . *الكامل* . حققه وعلّق عليه ووضع فهارسه : د. محمّد أحمد الـدّالي . (بيـروت : مؤسسة الرّسالة ، ط3 ، 1997م) .
34- المبرّد ، أبو العبّاس . *المقتضب* . تح : محمّد عبد الخالق عضيمة . (بيروت :عالم الكتب ، د.ت) .
35- المطلبي ، د. غالب فاضل . *في الأصوات اللّغويّة ، دراسة في أصوات المدّ العربيّة* . (بغـداد : وزارة الثّقافة والأعلام ، 1984م) .

الدّوريّات:

1- الجنابيّ ، د. طارق عيد عون . *" قضايا صوتيّة في النّحو العربيّ "* . مجلة المجمـع العلمـيّ العراقـيّ ، العدد(2) ، 1987م .